احد به راسا فان الخافض الرافع سبحانه خفضه ولم يرفعه والمعنى لو شينا
فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالايات التي اتيناه قال ابن عباس
ولو شينا لرفعناه بعمله بها وقالت طايفه الضمير في قوله لرفعناه عايد على
الكفر والمعنى لو شينا لرفعنا عنه الكفر بما معه من ايات نا قال مجاهد وعطا
لرفعنا عنه الكفر بالايمان وعصمناه وهذا المعنى خوق والاول هو مراد الايه
وهذا من لوازم المراد وقد تقدم ان السلف كثيرا ما ينبهون على لازم معنى
الايه فيظن الظان ان ذلك هو المراد منها وقوله ولكنه اخلد الى الارض
قال سعيد بن جبير ركن الى الارض وقال مجاهد سكن وقال مقاتل رضي بالدنيا
وقال ابو عبيده لزمها راظا والخلد من الرجال هو الذي يطيق مشيته ومن
الدواب التي تبقى ثنا ياه الى ان تخرج رباعيته وقال الزجاج خلد واخلد واحد
واصله من الخلود وهو الدوام والبقا يقال اخلد فلان بالمكان اذا اقام به
قال ملك بن نويرة
يا بنا حي من قبايل ملك وعمرو بن يربوع اقاموا واخلدوا
قلت ومنه قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي قد خلقوا للبقا كذلك
لا يتغيرون ولا يكبرون وهم على سن واحد ابدا وقيل هم المقرطون في اذانهم
والمسورون في ايديهم واصحاب هذا القول فسروا اللفظه بعض لوازمها
وذكروا امارات التخليد على ذلك السن فلا تنا في بين القولين وقوله واتبع هواه
قال الطبري اتبع سا قل الامور وترك معاليها وقال ابو روق اختار الدنيا على
الاخره وقال عطا اراد الدنيا واتبع شيطانه وقال ابن زيد كان هواه مع القوم
يعني الذين حاربوا موسى وقومه وقال غيره كان اتبع امرانه لانها هي التي حملته على
ما فعل فان قيل الاستدراك انما يحسن بعد ما ينفي قبلها او ينفي
ما اثبت كما تقول لو شيت لاعطيته ولكني لم اعطه ولو شيت لما فعلت كذا
ولكني فعلته فالاستدراك يقتضي ولو شينا لرفعناه بها ولكنا لم نشا ذلك او فلم يرفع
نفسه ولكنه اخلد فكيف استدرك بقوله ولكنه اخلد الى الارض بعد قوله ولو شينا

لرفعناه بها قيل هذا من الكلام المحوط فيه جانب المعنى المعدول فيه عن مراعاة
الالفاظ الى المعاني وذلك ان مضمون قوله ولو شينا لرفعناه بها انه لم يتعاطى
الاسباب التي يقتضي رفعته بالايات من اثبار الله ومرضاته على هواه ولكنه اثر
الدنيا واخلد الى الارض واتبع هواه وقال الزمخشري المعنى ولو لزم اياتنا لرفعناه
بها فذكر المشيه والمراد ما هي تابعه قال الالوسي الى قوله ولكنه اخلد فاستدرك
المشيه باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شينا في معنى ما هو فعله ولو
كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شينا لرفعناه ولكنا لم نشا هذا منه
شنشنه نعرفها من قدري نا في المشيه العامه مبعد للنجعه في جعل كلام الله
معتريا فدريا قابن قوله ولو شينا من قوله ولو لزمها ثم اذا كان اللزوم لها موقوفا
على مشيه الله وهو الحق بطل اصله وقوله ان مشيه الله تابعه للزومه الايات
من افساد الكلام وابطاله بل لزومه لايا ته تابع لمشيه الله فمشيه الله سبحانه متبوعه
لا تابعه وسبب لا مسبب وموجب مقتضي لا معصي فما شا الله وجب وجوده
وما لم يشا امتنع وجوده فصل ومنها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم وهذا من احسن
القياس التمثيلي فانه شبه تمزيق عرض الاخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق
عرض اخيه في غيبته كان بمنزله من يقطع لحمه في حال غيبه روحه عنه بالموت
ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه عن نفسه بكونه غايبا عن زمه كان بمنزله
الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع ان يدفع عن نفسه ولما كان مقتضى الاخوه
التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم
والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم اخيه والاخوه تقتضي حفظه وصيانته
والذب عنه ولما كان المغتاب متفكها بعرض اخيه متمتعا بغيبته وذمه متحليا بذلك
شبه باكل لحم اخيه بعد تقطيعه ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبا به شبه بمن

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)